المحاضرة الخامسة: الهجرة إلى يثرب؛ إرهاصاتها ونتائجها

لقد يئس رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعوة قومه وأصبح يبحث خارج قريش عمن يستجيب لدعوته وينصر دينه، لذلك كانت رحلته إلى الطائف غير أنها لم تؤت أكلها، فظل يستغل مواسم الحج ليلتقي بقبائل العرب الوافدة على مكة، وكان لقياه بأهل يثرب بداية عهد جديد للإسلام وللمسلمين على حد سواء، وسيتضح ذلك من خلال دراسة إرهاصات الهجرة الشريفة.

1- إرهاصات الهجرة وبيعة العقبة الأولى والثانية

لما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في موسم حج السنة الحادية عشر من نبوته عليه الصلاة والسلام، وفيه لقيه ستة نفر من الخزرج من أهل يثرب، وكانوا قد أتوا مكة لاستنصار قريش على غرمائهم من الأوس، وكانت الحرب إذ ذاك سجالا بين الخزرج والأوس، فاستغل رسول الله ذلك، حيث جلس إليهم ودعاهم إلى الله، فعلموا بأمر دعوته، واستجاب منهم فتى يدعى إياس بن معاذ، وفي موسم الحج ذاته وفي كان يُدعى "العقبة" بين مكة ومنى التقى رسول الله أسلم بستة نفر من الخزرج، فدعاهم إلى الاسلام فأجابوا، ورجعوا إلى يثرب دعاة لقومهم، فما كانت دارا من دور يثرب إلا علمت بدعوة الرسول الأكرم، ولما كان العام المقبل من السنة الثانية عشر من نبوته صلى الله عليه وسلم، قدم وفد من يثرب إلى مكة تعداده اثني عشر رجلا، عشرة من الخزرج ورجلان من الأوس، وبايعوا رسول الله على الاسلام وعبادة الله وحده، وهي بيعة الايمان، وكان ذلك بداية التحام الصف بين الأوس والخزرج الذي اشتدّ مع ظهور رسول الله بالمدينة، ثم عاد هؤلاء إلى يثرب ومعهم مصعب بن عمير معلّما ومفقها فكان بذلك أول سفير في الاسلام، وقد نجح في مهمته أيّما نجاح، ودليل ذلك ما كان من أحداث متسارعة لصالح المسلمين بعدها[i].

لتأتي بعدها البيعة الثانية في العام المقبل وفيها بايع أهل يثرب رسول الله على النصرة والحرب، حيث قال الرسول الأكرم في نص البيعة:" أشترط لربي أن تعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئا، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، متى قدمت عليكم " فبايعوه على ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام:" أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم"، ثم كانت البيعة بالمصافحة[ii].

وفي الوقت الذي أرادت فيه قريش التخلص من النبي وقتله جاء الإذن بالهجرة إلى يثرب.

2- بين الهجرة والتحول

انطلق ركب الصحابة باسم الله وتحت رعاية الله، وأخذ وجهته نحو يثرب في مستهل ربيع الأول، حينها التفت رسول الله إلى مكة التفاتته الأخيرة ثم قال:" إني أخرج منك، وإنّي أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله تعالى، ولولا أنّ أهلك أخرجوني منك ما خرجت منك"، وكان مفتاح الطمأنينة نزول قوله تعالى على نبيّه:" وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا"،

هاجر صحابة الرسول الأكرم خفية، فرادى وجماعات، وانتظر الرسول الأكرم أمر السماء، حتى أذن له المولى عز وجل، فكتم الرسول أمر ذلك، واستأجر دليلا للطريق، ثم اشترى دابته التي سيرحل عليها ودفع ثمنها، واختار صاحبه في الطريق، قال تعالى:" إلا تنصروه..." واختار وقتا مناسبا للخروج، ثم سلك طريقا غير معروفة، وأوعز إلى علي بن أبي طالب بأن ينام مكانه ليلة خروجه، واختبأ في غار ثور، وكان بيت الصديق كله في خدمة النبي وصاحبه، يأتون بالأخبار ويؤمنون الطعام والزاد، ويراقبون الوضع في مكة، لتأتي بعد كل ذلك معية الله عز وجل وحفظه، بعد أخذ الرسول الأكرم بكل أسباب النجاة، ولكن حين تنقطع الأسباب يأتي التوكل على الله، قال تعالى:" وجعلنا من بين أيديهم.."؛وقال أيضا: " لا تحزن إن الله معنا"، فسارت الأمور بقدر الله ووصل الركب سالما في الثاني عشر من ربيع الأول للسنة الرابعة عشر من البعثة، فأقام بقباء، وبها أسس رسول الله أول مسجد في الاسلام، وفرح أهل يثرب بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّما فرح، حتى كأن يوم قدومه عليهم يوم عيد[iii].

مصادر ومراجع المحاضرات

[i] صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، ص139-140.
[ii] صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، ص144.
[iii] وفي البخاري عن البراء بن عازب قال:" ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم".